

طاعت أدهى مني وأقوى

بِقَلْمِ عُمَرْ سَعْدِي

"بعصمة" واباء تدير شؤونها وحدها تراول فلاحه الأرض، والعمل في كروم الزيتون والعنب، حصة زوجها من الإرث مناصفة مع أخيه "أبو الأسد" مرت الأيام فاندلق جشعه وتفجرت اطماعه وفاضت لتطول الاستيلاء على الأرض بالتدريج وراح يستولي قطعة بعد قطعة ولا من مناصر لها، فهو رجل ذو بأس وسطوة وسلطة، دافعت عن حقها وقاومت استبداده وتصدت له فاطلقوا عليها اسم المرأة الحديدية، استمر السجال والنزاع سنوات طويلة سنوات طويلة في مراكز القضاء، لم تخنع ولم تخضع، عجم عودها فوجدها عصيا فلم يكسرها كل غواشه وجبروته وغلظته في حين لم تردعه قرارات المحاكم التي كانت تقضي لصالحها بإخلاء الأرض ورفع يده عنها.

أخذ الشباب يتقدمون لطلب يد كريتها "البيبة" التي عايشت مراحل مأساة والدتها والشاهد المؤلة التي تم رها وفكrt الاستجابة لطلب فتى أحلام ابنتها لتشلها من مستنقع جحيم عمها. لتنعم بحياة هنية. تسعـد بما تعويضا لها عن البؤس الذي لحق بها وراحت لبيبة رغم الغمامات السوداء التي كانت تلوح في سماء تفكيرها، تحلم بالزواج وبناء عائلة وإنجاب الأولاد، ففي خضم احلامها وغمرة طموحها ورغبتها الجامحة في الزواج من فتى احلامها.

واجهتها العقبة الكأداء، تصدى لها ابن عمها "أسد" بمساندة والده عملا بمقولة "ابن العم بنزل عن ظهر الفرس" فهدد وتوعـد بالويل الشبور لمن يجرؤ ويقدم لخطوبتها وهدد بغلظة شائنه إذا ما تمت خطوبتها فيدخل عليها عنوة في عقر دارها فظلـت تعاني من ذلك التهديد والتصدي حتى بلـغـت سن السابـعـة والعشـرـين من عمرها عانـسا قـابـعةـ فيـ الـبـيـتـ فيـ هـمـ وـغـمـ، أـثـرـتـ الـبـقـاءـ عـزـيـاءـ وـالـعـيـشـ مـعـ وـالـدـحـاـ علىـ الزـوـاجـ منـ ابنـ عـمـهاـ. شـعـرـتـ وـالـدـحـاـ انـ الضـوءـ الأـحـمـرـ أـخـذـ يـبرـقـ اـمـامـ "الـبـيـبةـ" وـانـ القـطـارـ قـدـ يـمـرـ وـيـجـاـزـهـاـ وـانـ عـمـرـهـاـ وـانـ اـخـذـ يـتـجاـوزـ الـحدـودـ، فـلـمـ عـلـمـتـ فيـ ذـهـنـهاـ فـكـرـةـ لـلـخـرـوجـ مـنـ هـذـاـ المـأـزـقـ وـتـلـكـ الـحـنـةـ، وـرـاـتـهاـ الـأـفـضـلـ وـالـوـسـيـلـةـ الـوـحـيـدـةـ لـخـلـاصـ اـبـنـهاـ مـنـ بـرـاثـ اـبـنـ عـمـهاـ، وـوـضـعـ حدـ مـلـأـسـةـ وـاسـتـيـلـاءـ "أـبـوـ الـأـسـدـ" عـلـىـ الـأـرـضـ، وـالـأـرـثـ، اـسـتـذـكـرـتـ اـنـ هـاـ أـقـارـبـ وـصـلـةـ قـرـبـةـ لـأـهـلـهـاـ مـعـ اـحـدـيـ الـعـاـئـلـاتـ فـيـ بـلـدـ عـرـبـيـ مـجاـورـ، فـعـرـضـتـ عـلـيـهـاـ الـفـكـرـةـ وـبـعـدـ تـرـدـ وـرـفـضـ وـاـخـذـ وـعـطـاءـ، وـعـنـدـمـاـ كـاـشـفـتـهـ بـرـغـبـتـهاـ الجـاحـمـةـ بـزـوـاجـهاـ لـأـنـجـابـ الـأـوـلـادـ يـحـمـلـونـ ذـكـرـيـ وـالـدـهـاـ، وـانـهـ الـوـسـيـلـةـ الـوـحـيـدـةـ لـلـتـخـلـصـ مـنـ غـلـطـةـ عـمـهاـ وـجـبـرـوـتـهـ أـبـدـتـ موـافـقـتـهاـ. وـقـدـ سـعـتـ الـاـمـ لـتـفـيـدـ فـكـرـهاـ الـتـيـ اـبـقـتـهـ فـيـ الـكـتـمـانـ عـقـدـتـ الـاـمـ صـفـقـةـ بـعـيـعـ كـلـ الـعـقـارـاتـ وـحـصـلتـ عـلـىـ موـافـقـةـ مـنـ دـائـةـ الـمـجـرـةـ بـتـصـرـيـحـ فـتحـ اـبـنـهاـ مـغـادـرـةـ الـبـلـادـ إـلـيـ قـطـرـ عـرـبـيـ. اـسـتـفـاقـ "أـبـوـ الـأـسـدـ" وـابـنـهـ ليـجـداـ "الـبـيـبةـ" قـدـ غـادـرـتـ الـبـلـادـ وـالـأـرـضـ قـدـ بـيـعـتـ وـخـابـ جـشـعـهـ وـتـبـخـرـتـ اـطـمـاعـهـ. عـنـدـهـاـ قـالـ حـقاـ اـنـهـ اـمـرـأـ حـدـيـدـيـةـ عـلـمـتـهـ خـشـفـةـ وـطـلـعـتـ أـدـهـيـ مـنـ وـاقـوـيـ. وـظـلـتـ تـنـاهـضـهـ فـيـ الـقـرـيـةـ شـاخـخـةـ رـاسـخـةـ كـالـطـوـدـ تـزـيـدـهـ اـنـفـعـالـاـ وـحـسـرـةـ.

(عربة البطوف - الجليل)

بلغت "البيبة" سن السابعة عشرة من عمرها قضتها تحت كنف والدتها التي غمرتها بحنانها الفياض - ولقتها بعطفها وحبها المغارفين، ورأـتـ فـيـهاـ الإـرـثـ الشـمـينـ، وـالـذـخـرـ النـفـيسـ مـنـ زـوـجـهـاـ، الـذـيـ فـقـدـتـهـ فـيـ السـنـةـ الخامـسـةـ مـنـ زـوـجـهـاـ، اـثـرـ شـجـارـ بـيـنـ طـرـفـيـنـ مـنـ العـائـلـةـ، قـادـهـ الـيـهـ اـخـوهـ الـأـكـبـرـ وـزـوـجـهـ فـيـ وـعـدـمـاـ حـمـيـ وـطـيـسـ الشـجـارـ، وـاستـعـرـتـ نـارـ الطـوـشـةـ وـهـوـتـ العـصـيـ عـلـىـ الـأـجـسـادـ، وـشـجـتـ الـحـجـارـ الرـؤـوسـ، وـاستـلـتـ السـيـوـفـ وـتـعـالـتـ الشـتـائـمـ وـالـصـيـحـاتـ مـنـ الـجـانـبـيـنـ، أـصـيـبـ "أـبـدـ الـهـادـيـ" وـقـدـ اـثـخـنـتـ الـجـرـاحـ، مـاـ لـبـثـ اـنـ جـاءـوـاـ بـهـ مـخـضـبـاـ بـدـمـائـهـ، جـثـةـ هـامـدـةـ. زـعـقـتـ زـوـجـتـهـ "خـشـفـةـ" فـيـ وـجـهـ أـخـيـهـ وـهـيـ تـنـدـبـ وـتـلـطـمـ مـتـسـائـلـةـ "ليـشـ رـتـكـتـهـ وـانـسـلـيـتـ؟ـ لـيـشـ مـاـ ظـلـيـتـ وـهـيـتـوـ؟ـ وـيـنـ شـجـاعـتـكـ وـرـجـولـتـكـ؟ـ يـاـ عـيـبـ عـلـيـكـ يـاـ عـبـدـ الـرـحـمـنـ يـاـ أـبـوـ الـأـسـدـ".

انطلق صوته متباكيـاـ "ماـ تـخـفـيـشـ وـالـهـ لـاـسـتـدـ وـاثـرـ لـهـ بـعـشـرـ مـنـهـمـ". وبـصـوتـ متـهـدـجـ وـالـغـصـةـ فـيـ حـلـقـهـ قـالـتـ "وـشـوـ بـنـفـعـيـ وـبـيـدـيـ لـوـ قـتـلـتـ عـشـرـيـنـ اـنـاـ فـقـدـتـ أـحـسـنـ الرـجـالـ أـغـلـيـ مـاـ اـمـلـكـ فـيـ الدـنـيـاـ. وـالـقـتـلـ بـجـيـبـ قـتـلـ وـالـثـأـرـ بـجـيـبـ الـثـأـرـ كـفـ عنـ عـمـاـيـلـكـ الـوـسـخـةـ يـاـ أـبـوـ الـأـسـدـ بـكـفـيـكـ عـادـ مـشـاكـلـ"، وـالـدـمـوـعـ تـنـهـرـ سـاخـنـةـ مـنـ مـقـلـيـهـاـ، وـراـحـتـ تـنـوحـ وـتـقـعدـ مـعـ النـائـحـاتـ حتـىـ حـمـلوـهـ وـوارـواـ جـثـمانـهـ الـثـرىـ.

انقضـتـ أـيـامـ الـعـدـةـ، أـربـعـةـ أـشـهـرـ وـعـشـرـ أـيـامـ وـبـعـدـ فـتـرـةـ وـجيـزةـ مـنـ اـنـقـضـائـهـاـ سـارـعـ "أـبـوـ الـأـسـدـ" وـكـانـ فـيـ عـجـلـةـ مـنـ اـمـرـهـ يـقـنـعـ أـهـلـهـ وـعـائـلـهـاـ بـذـرـاعـ وـاهـيـةـ، يـخـنـهمـ عـلـىـ تـزـوـجـهـاـ فـقـدـ بـاتـ "خـشـفـةـ" اـرـملـةـ فـهـذـاـ نـصـيـبـهـ وـقـدـرـ اللـهـ فـلـسـلـامـةـ سـمعـهـاـ، وـالـحـافـظـةـ عـلـىـ شـرـفـهـاـ وـشـرـفـ الـعـائـلـةـ وـتـحـاشـيـاـ لـلـأـقـاوـيـلـ وـالـلـوـشـوـشـاتـ وـالـغـمـ وـالـلـمـزـ وـهـيـ لـاـ زـالـتـ فـيـ اوـجـ صـبـاـهـاـ وـامـرـأـةـ جـيـلـةـ فـالـعـادـاتـ وـالـتـقـالـيـدـ لـاـ تـجـيـزـ وـلـاـ تـسمـحـ اـنـ تـظـلـ الـمـرـأـةـ اـرـملـةـ.

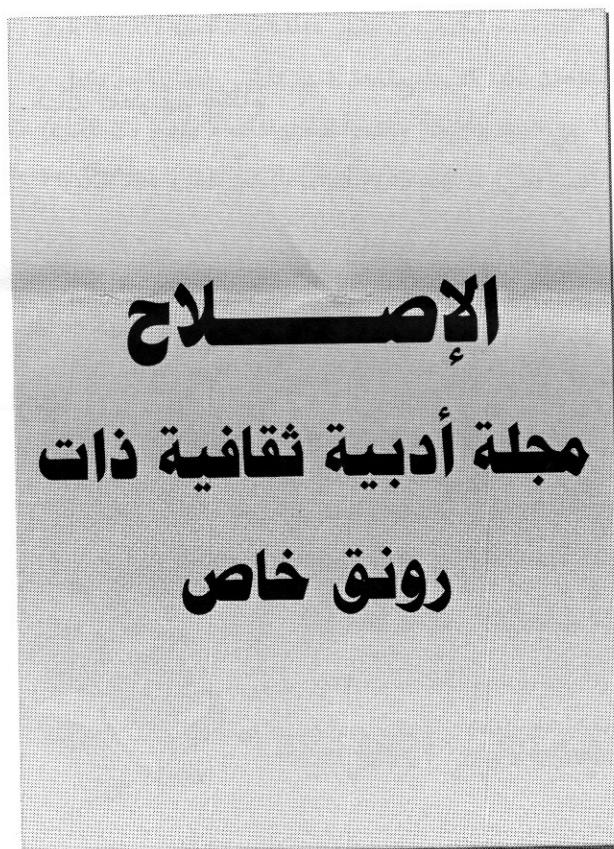
وـعـنـدـمـاـ تـقـدـمـواـ وـكـاـشـفـوـهـاـ بـالـأـمـرـ وـعـرـضـوـهـاـ عـلـيـهـاـ فـكـرـةـ الزـوـاجـ وـقـعـ عـلـيـهـاـ قـوـلـمـ وـقـوـعـ الصـاعـقـةـ هـاجـتـ وـمـاجـتـ وـثـارـتـ وـقـالـتـ "يـاـ وـيـلـكـ مـنـ اللهـ شـوـ كـايـيـ اـحـلـ وـيـتـاـ يـمـوتـ حتـىـ اـتـزـوـجـ اـسـتـحـواـ" وـصـرـخـتـ وـقـالـتـ "سـأـظـلـ اـرـملـةـ وـلـنـ اـسـمحـ لـاـحـدـ اـنـ يـمـسـ شـرـفـيـ بـدـيـ اـحـضـنـ بـنـيـ الـوـحـيـدـةـ وـاعـيـشـ اـنـاـ وـإـيـاهـاـ فـهـيـ الـإـرـثـ الشـمـينـ وـالـذـخـرـ النـفـيسـ مـنـ زـوـجـهـاـ "أـبـوـ الـأـسـدـ" وـلـمـ يـقـنـعـهـ فـيـ حـضـيـ وـتـحـظـيـ وـتـخـلـدـ ذـكـرـ وـالـدـهـاـ لـمـ يـأـلـ جـهـاـ "أـبـوـ الـأـسـدـ" وـلـمـ يـقـنـعـهـ مـاـ نـقـلـوـهـ لـأـهـلـهـاـ عـنـ رـفـضـهـاـ القـاطـعـ لـلـزـوـاجـ، تـقـدـمـ بـنـفـسـهـ وـعـرـضـهـ عـلـيـهـاـ الـفـكـرـةـ ثـانـيـةـ وـقـالـتـ هـاـ اـنـ الـعـدـيدـ مـنـ الـرـجـالـ سـالـلـواـ وـيـرـغـبـونـ الزـوـاجـ مـنـهـاـ، وـعـضـهـمـ مـنـ مـيـسـوـرـيـ الـحـالـ الـأـثـيـاءـ فـقـالـتـ لـهـ قـيمـ الـفـكـرـةـ مـنـ رـاسـكـ وـعـضـهـمـ مـنـ مـيـسـوـرـيـ الـحـالـ الـأـثـيـاءـ فـقـالـتـ لـهـ قـيمـ الـفـكـرـةـ مـنـ رـاسـكـ عـارـفـهـ اـحـايـيلـ.

تعـاـيـشـتـ "خـشـفـةـ" مـعـ وـاقـعـهـاـ الـمـرـ وـحـظـهـاـ الـعـاثـرـ وـاعـتـمـدـتـ عـلـىـ نـفـسـهـاـ

متفاعلاً، متداخلاً في أجوائها ليجد نفسه أحد أبطالها العالم ببطونها، وكأنه الشاهد الشخصي لمجريات أحداثها.

رواية صريحة جريئة جدية مشوبة بالسخرية والنقد البناء، بعيداً عن جلد الذات، مشيرة للعيوب، محفزة للتصليح والتغيير. للأفضل، صادقة مع رؤية ناقدة بثنائية، رواية مثيرة، ممتعة، تتجاوز الواقع لتعود اليه ولتنطلق من جديد، تستحق القراءة والدراسة دافعة للتأمل، للتفاؤل، للتجدد ولـ"الصباح رياح"، وبهذه الرؤية التفاؤلية يحسن الروائي عودة بشارات انتقاء نهاية مفتوحة لروايته، روايتها، وينهي. "لا أفضل من الصباح للشروع في بداية جديدة".

(الناشرة) صفورية—الجليل).



من مناضل، وعلب السجائر بأنواعها الثلاث، ومكان تجمع الشباب في طرف الساحة لمعالجة الجمر في مناقلها

المتنوعة الأحجام، وإلى صناعة القهوة ووضعها في "المعامل" وتقديمها للوافدين الآتين من البلد، ومن باقي البلدات القرية والبعيدة، ليتمد وصفه للأحاديث الخاصة ، وللتواتر الناجم عن مدى الانتظار، ولمسار التشيع، ولطقوس الصلاة، وللوامة التوديع ولباقي المراسم التي لم يتركها مجالاً لإفلات من الرصد. أحاطت الرواية بعضاً من عيوب حياتنا الاجتماعية المدama، كالتحرش والاعتداءات الجنسية داخل وخارج العائلة، وما يرافقتها من مواقف متناقضة، مُبررة ورافضة أو غير مبالغة، تاركةً الضاحية عرضة للتخطيط بين الشعور بالذنب والعار، بين أخams الذات وبين أخams الجرم الحقيقي، حالة تناقض صارخ نازف ومؤلم وما زال

وبالمقابل كشفت الرواية عن الملاحة السياسية القدرة اتجاه الشطاء السياسيين العرب وـ"محاربتهن بلقمة العيش" ودعمهم بـ"النقطة السوداء" واستعمال المخابرات لوسائل تعذيب وإذلال، واستغلال جسد المرأة لعملية ابتزاز ذئبة ومهينة. تضمنت الرواية أقوالاً وأمثالاً شعبية عديدة تتلاءم والأحداث والمواقف وتشير إلى ثراء تراثي عميق لدى شعبنا العربي الفلسطيني، وإلى معرفة الكاتب الواسعة بهذا التراث، وإلى مدى قدرته على انتقاء الأكثر ملائمة للحدث. الذي يده بالماء ليس كالذى يده بالنار ، والمثل الخنوع "امشي الحيط الحيط وقول يا رب السترة" ، النفح في قرية مثقوبة" ، اضافة لأقوال خاصة بمجتمعنا من الصعب ان تجد لها مرادفاً في لغات اخرى "قطع الحكي" ، لا قدامى ولا ورأى" ، "أفرد الطاولة" ، وإلى دخول مفردات حديثة تدل على فترة ظهورها وارتباطها بالتطور العلمي والتكنولوجي " فيس بوك ، واتس أب ، سكايب ، ستاتوس انترنت .." وقد أظهر مواقف ايجابية لبعض العادات مثل" مشاركة الأثراح أفضل ما بقي للعرب من عادات" وأنه في الأعراس "يحب دعوات العشاء ولا يحب القاعات" ، وقد بعث الكاتب، ومن خلال شخصيات في الرواية، رسالة تربوية صائبة حول اساليب التدريس الجيدة ، وأن المعلم المتميز هو القريب من الطالب والنتفهم له " ولا يتحدث من فوق، بل يفهم نفسية الطالب .. له طول بال" وقدرة "على شرح ما ليس واضحًا". نجح عودة بشارات أن يشد القارئ إلى أحداث الرواية ويجعله